أ: سليم أوفة جامعة خميس مليانة

من أقطاب النهضة الثقافية في إقليم متيجة
مطلع القرن العشرين 1900 –1914
"عبد الحليم ابن سماية أنموذجاً"

الملخص:

تؤكد بل تكاد تجمع المصادر التاريخية على أن منطقة متيجة عرفت بأصالتها الحضارية ،وبروح المقاومة عند أهلها عبر التاريخ، ورغم انها كانت أول ضحية للحركة الاستعمارية سنة 1830 إلا انها استماتت في الدفاع عن كيان سكانها، وتعرضت لسياسة استعمارية قاهرة طيلة القرن 19م ، مما استوجب عليها الرد والاستجابة فظهرت نخبة من الاعلام والمثقفين بها لتوافر عوامل داخلية وخارجية عملوا على نهضة الجزائر الحديثة نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 م فكانوا الصفحات الاولى للحركة الفكرية والثقافية في البلاد، ولعل أبرزهم :عبد الحليم ابن سماية .مصطفى ابن الخوجة. عمر راسم. عمر بن قدور الجزائري. عبد القادر المجاوي .محمد ابن ابي شنب .ابن زكري . الحفناوي ...، ونحاول من خلال هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على العوامل الداخلية والخارجية لتلك الحركة وجهودهم العلمية وآرائهم وافكارهم وآثارهم الفكرية في منطقة متيجة، وابراز تجليات اعمالهم على مستقبل النضال الوطني، وموقف الادارة الفرنسية من ذلك النشاط بحكم قربه من مقر السلطة الكولونيالية.

1 – تمهيد:

لقد تعرضت الجزائر ابتداءً من سنة 1830 إلى استعمار استيطاني شرس عمِل طيلة قرن وثُلث القرن على محو خصائص الشعب الجزائري الروحيَّة والوطنيَّة، وكانت مدينة الجزائر في اقليم متيجة – أوَّل ضحيَّة استعماريَّة في شمال إفريقيا–

من أكبر المناطق التي حُظيت بأهمية كبيرة على امتداد تاريخ التواجد الأجنبي الاستعماري بها، حيث تبيَّنت أهميتها الاستراتيجية للغزَّاة الفرنسيين، فاتخذوها عاصمة لهم وجعلوها مركزا لتجمع المؤسسات السياسيَّة، الثقافيَّة والاقتصاديَّة والوظائف الاجتماعيَّة ،وعانت المدينة وما جاورها في اقليم متيجة طيلة القرن التاسع عشر من معالم السياسة الاستدماريَّة شاهدة بذلك صدمة حضاريَّة جردتها من جميع ما تراكم عليها خلال قرون من تكوينها التاريخي والاجتماعي.

ومن جانب أخر يؤكد التاريخ العام للمنطقة خلال الحقبة الاستعماريَّة أنَّها كانت مركزا للحركات الوطنيَّة، حيث ظهرت مكانتها كفضاء للممارسات السياسيَّة وللحركات الثقافيَّة منذ بداية الاحتلال، وعادت لتستلم مشعل المقاومة من جديد مع بداية القرن العشرين، فكانت متيجة عاصمة لها ومنبتا للحركة الإصلاحية ،فهي المكان الذي تتجلى فيه المفارقات الاجتماعية مما يجعلها منطقيا مهيأة لاستقطاب النزاع الاجتماعي والسياسي خاصة وأن الوضع المأساوي الذي عايشه سكَّانها في القرن 19م استوجب من أهلها تضحيات جسام وصبر على الشدائد، ومجاهدة على العزائم لمجابهة هذه السياسة الهدَّامة ،فظهرت منها شخصيات وطنية خلدها التاريخ، وأثبتت عظمة المناهضة عند أهلها،ومن ثمَّ حاولت الدراسة الموالية استظهار اقطاب وأعلام النشاط النهضوي والانبعاث الثقافي في مدينة الجزائر،وتسليط الضوء مع تسليط الضوء على أحد نماذجها وهو الشيخ مصطفى بن الخوجة المشهور بالشيخ الكمال.

ومنه الاشكاليات المطروحة في ورقتنا البحثية هذه هي: ماهي الدعائم الداخلية والخارجية للنشاط النهضوي في منطقة متيجة، وما ابرز الأسماء والاعلام الثقافية البارزة فيه، وماهي وسائل نشاطاتها، وتجليات اعمالها على مسار الحركة الوطنية والنضال الوطني، وكيف تعاملت الادارة الاستعمارية معها بحكم قربها من مقرها.

2 – لمحة عامة عن السياسة الاستعمارية بالمنطقة في ق 19م.

لم تسلم منطقة متيجة كغيرها من المناطق الجزائرية الأخرى من سياسة المسخ الاستعماري وأضحت العاصمة نموذجا حيّا للتغريب الثقافي(1)،وأصبحت المدينة بعد توقيع معاهدة الاستسلام تحت طائلة القرارات العسكرية الفوضوية المتغيِّرة من يوم لآخر(2)ويذكر حمدان خوجة أنه عندما احتجّ لدى الحاكم العام كلوزيل على خرق الاتّفاقية ردَّ عليه قائلاً "إنّ فرنسا غير ملزمة باحترام هذا الاتِّفاق لأنَّه لم يكن سوى لعبة حرب"(3).

وشملت السِّياسة الاستعماريّة جميع المجالات "الإنسان ،الأرض ،الثقافة والديّن "وهذا ما يؤكِّده المؤرخ الفرنسي "بول آزان" عندما يصف حالة الجيش الفرنسي يوليو 1830 "..لقد ارتّكبوا أعمالا تخريبية حول مدينة الجزائر، لقد خرّبوا الفيلات والأحواش، كما قطعوا أشجار الحدائق.." ويعزز رأيه المؤرخ "بول غابريل" قائلا "لا توجد مدينة احتلت بهذا الشكل في العالم"(4)فخلال أيام قليلة قام الفرنسيون بالاستيلاء على خزينة الجزائر ونهب أكثر من 52 مليون فرنك ذهبي(5)،وإطلاق النار على عشرات المصلين داخل مسجد كتشاوة(6)،وطرد بقايا الأتراك الموجودين في الجزائر من الانكشارية، وحوّلت دار الدّاي إلى مستشفى عسكري ،والأكثر من هذا تمّ استخراج عظام الموتى وشحنها في السفن، وهو ما نجده في رواية الرحالة الألماني "موريتس فاغنر" الذي زار الجزائر بعد الاحتلال قائلا "إنّ الفرنسيين قد بلغت دناءتهم إلى حدٍّ إرغام الجزائريين على فتح قبور أجدادهم وإخوانهم في الدّين.." (7)وهو ما يؤكِّد فرضيّة وحشيّة الجيش الفرنسيِّ الذي لم يعتق حتّى الأموات في قبورهم .

والحديث عن المذابح الفرنسيّة التي كان للعاصمة ومتيجة نصيب وافر منها لكونها السبّاقة في الغزو والنّهب والاستغلال، فمذبحة البليدة بتاريخ "26 نوفمبر 1830"كانت مدينة الجزائر أكبر الخاسرين منها لأنّها كانت ملجأ للعاصميين

،وبمثابة القاعدة الخلفيّة لهم ،تلتها مجزرة العوفية" 07 أفريل 1832"والتي ذهب ضحيّتها أكثر من 12 ألف قتيل أبيدوا عن آخرهم على شاكلة إبادة الهنود الحمر في أمريكا، بتهمة ملفّقة تقول أنّ أفراد هذه القبيلة تعرضوا بالسوء لأفراد سفارة قافلة الزّيبان الموالية للاستعمار في طريقها إلى العاصمة .

لكنَّ الحقيقة هي أنّ مذبحة البليدة ،ثم العوفية جاءت كردّ فعل بربري على المقاومة الرّيفية المبكّرة حول مدينة الجزائر(8)،وعليه تعتبر ممطقة متيجة المنطقة الأكثر تضرُّرا وتملُّكا من جميع مناطق الشّمال الإفريقي ،حيث عرفت تملُّكا استعماريا وتحولا جغرافيا راديكاليّا ،وخسائر اقتصادية ،ومصائب اجتماعية كبرى . ومنه تكون فرنسا قد أعطت منها نموذجا لما ستكون عليه مصير البلاد في سياستها الاستعماريّة،

ولا غرابة أن تتحوّل المنطقة من منطقة عسكريّة إلى منطقة تجاريّة أثناء الحكم المدني بعد شراء أراض عديدة من العسكريّين ،جعل مساحة المدينة تتقلص من 40 هكتار إلى 18 هكتار فقط(9)،وكان الفرنسيّون قد شيّدوا أول مزرعة نموذجيّة في المكان المعروف باسم "حوش حسين باشا" على ضفّة واد الحراش ،وسميّت بالمزرعة النموذجية الإفريقية ،وأصبحت الأملاك العقارية في الجزائر خاضعة لنظام ملكيّة فرنسيّة وبالتّالي تمّ فرنسة الأرض التي كانت تمثل أوقافا للممتلكات الإسلامية (10)كما تمّ تجهيز المدينة بخطوط السّكة الحديدية وربطها مع المدن المجاورة (1880 ,1896) لخدمة المصالح الاستعمارية ،وحماية المنشآت الفرنسية في العاصمة الكولونيالية

يمكننا القول ممّا سبق ذكره أنّ السُّلطات الفرنسيّة طبّقت السّياسات الاستعماريّة القمعية، وانتهكت كلّ الحقوق الأساسيّة من أجل تثبيت القواعد الكولونيالية في عاصمة البلد وما جاورها في اقيم متيجة ،وأدّى ذلك إلى هجرة علمائها وأعيانها إلى الخارج ،وتفقيرها علميا وثقافيا مع طرح بدائل ثقافية تغريبية ،لكنّها وإلى نهاية القرن التاسع عشر لم تستطع القضاء عليها نهائيا ،فكان على

البقيّة الباقيّة اليقظة والنُّهوض من أجل استرجاع المنطقة بمعالمها العربية الإسلامية ،لتكون قدوةً لباقي المناطق والمدن الجزائريّة لمواصلة مسيرة المقاومة بعد فشلها في الأرياف ،ورغم أن المهمّة صعبة وجد معقدة ،وليس من السهل تجاوزها، ولكن في نفس الوقت لا يمكن البقاء تحت أسرها ومواصلة تحملها، وعليه ستكون من المناطق السّباقة في ظهور بوادر النشاط النهضوي والانبعاث الثّقافي في الجزائر وستعيش حراكا كبيرا مطلع القرن العشرين ،وستلعب دورها الذي أناطها التاريخ به ،وذلك مردُّه لتوافر عوامل داخليّة وخارجيّة.

3 – الدعائم الداخلية والخارجية للنهضة الثقافية في اقليم متيجة مطلع القرن20م :

يمكننا القول أنَّ أسباب وعوامل الحراك النَّهضوي ،وأعراض الانبعاث الثَّقافي في مدينة الجزائر لم تكن وليدة القرن العشرين بل كانت دفينة في كينونة الشَّعب الجزائري ضد معاول الهدم والتَّخريب الاستعماري ،وحينما حانت عوامل داخليَّة محليَّة وخارجيَّة دوليَّة برزت تلك المعالم من جديد في حياة الجزائريين ، وكانت بمثابة مشروع مجتمع يقوم على إحياء القيم الحضاريَّة حتى تصبح ضرورة تاريخيَّة ،بل هي في الحقيقة ظاهرة صحيَّة لتجاوز الواقع المأساوي ،فظهرت الجزائر الجديدة أو الجزائر الفتاة التي حاولت تحرير البلاد بطرق جديدة شرعيَّة ،سلميَّة وسياسيَّة ،ورغم ادِّعاء بعض المؤرخين أنها هادئة وراضيَّة خلال هذه الفترة ،لكن أصبح جليًّا أنها كانت تعيش نهضة ثقافيَّة ،وزخم سيَّاسي كبير ،وتعتمد على إبداع ثقافي بدل ثورات شعبيَّة سلبيَّة تأكد من خلالها الجزائريُّون أنَّهم خسروا المعركة ولم يخسروا الحرب مع فرنسا .

وتوصَّلنا إلى أنَّ التاريخ العام لمدينة الجزائر ومنطقة متيجة يبيِّن أنها كانت المركز الأساسي والفكري للحركات الوطنيَّة أو الثَّوريَّة والمسرح الميداني لتصارع الخصوم ،والأرضيَّة المكشوفة للتَّناقضات الاجتماعيَّة التي يفرزها تصادُم سيَّاسي معيَّن ،

فجمعت بين المنبِّهات العابرة من هنا وهناك ،وأصبح لتلك العاصمة المقطوعة عن جسدها الأم مرافق تعطي العلم والمعرفة وتزوِّد بالأدب والحكمة ،خاصَّة بعد توافر وترسُّب مجموعة من العوامل المحليَّة والخارجيَّة عليها والَّتي جعلتها مؤهَّلة من أجل لعب الدَّور الذي أناطها به التاريخ كالقدر المحتوم.

ورغم أنَّ المهمة صعبة وجدّ معقَّدة ،وليس من السَّهل تجاوزها ،ولكن في نفس الوقت لا يمكن البقاء تحت أسرها ومواصلة تحمُّلها ،خاصة مع تغير المناخ السِّياسي ومجيء الحاكم العامّ جونار(11) بسيَّاسته الثَّقافية الأهلية تحت إدارة الحكم المدني ،فجونار الحاكم مطلع القرن العشرين عكف على تطبيق سياسة تعليميَّة،كان يهدف من ورائها استقطاب طبقة المثَّقفين لفرنسا من جهة ،وجعلهم أداة ايجابية لبثّ رسالتها من جهة أخرى ،مما سمح بظهور النُّخبة وبعث حراك نهضوي وثقافي كانت بدايته من مقر السُّلطة الاستعماريَّة مدينة الجزائر الأقرب والأكثر تأثُّرا برياح التَّغيير ،وإننا لا نتجاوز الحقيقة إذا أدلينا بالقول أن التَّعليم الفرنسي قد أوجد صفوة قليلة من رجال العلم من الأهالي، بل استطاعت هذه الفئة الجامعة بين روح الأصالة وريَّاح المعاصرة ،أن تخلق جوًّا أحيا مساحة من مصادر التُّراث ومن المخطوطات القديمة، وأعطى للعربيَّة ديناميكيَّة لم تعرفها منذ عهود ،فمتيجة استطاعت شأنها شأن جهات القطر الجزائري أن تضمد جراحها وان تجدّد قابلية الانبعاث وأن تتحامل على الرُّضوض القاسيَّة التي لحقت بها ،وان تراهن على أسبقيَّة وجود أكبر عدد من المدارس فيها .

وفي المقابل فإنَّ المتتبع لحوادث الجزائر في الفترة أواخر القرن 19 وبداية القرن 20 يلاحظ أنَّ الرُّوح الجديدة التي نشأت في التَّفكير الوطني قد حيَّر كبار ساسة باريس ،ونسب هذا الغليان لعوامل خارجيَّة ،أهمُّها حركة الإصلاح الدِّيني والنَّهضة العربيَّة بالمشرق ،والَّتي قادها موقظ الشَّرق الأفغاني ،ومن بعده الإمام المصلح عبده ثمَّ تلميذه رشيد رضا ،والتي ساهمت في عودة الاتصال الفكري بينه وبين المغرب العربي ،كما قدَّمت الجامعة الإسلامية أفكار وتصوُّرات جديدة من خلال الكتب

والصحافة بدعوتها إلى الهجرة وتعريفها بالقضية الجزائرية من خلال مهاجمتها للفرنسيّن ،وتشجيع الجزائريّن على رفض التَّجنيس وضغطها على فرنسا لإدخال إصلاحات جديدة ، وأخيرا ساعدت على نقل المشكل الجزائري إلى فضاء أوسع بدل خنقه خلف السِّتار الفرنسي .

ليس غريبا مما سبق ذكره أن تستجيب منطقة متيجة وباقي الحواضر الأخرى بطريقة أو بأخرى لدعوات النَّهضة والإصلاح للتَّخلص من الواقع الاستعماري وتحقيق النَّصر والحريَّة المنشودة خاصَّة مع قيام أحد أقطابها "محمد عبده "بزيارة تاريخيَّة إلى مدينة الجزائر سنة 1903 لعشرة أيام كاملة ،وقد خلقت هذه الزِّيارة نوعا من الديناميكية والحراك في المدينة ،خاصة وأنّها كانت في حاجة لمكسب معنوي تشجيعي(12) ،والمعروف أنَّ مدرسة المنار هي مدرسة عبده التي تركت بصماتها على الجيل الَّذي قاد الحركة الوطنية مطلع القرن العشرين حيث نشط تلاميذ عبده والمنار في السَّاحة ،ووجدوا دعما كبيرا ،وهنا نتساءل عن أبرز أعلام وأقطاب الحراك النَّهضوي والانبعاث الثَّقافي في متيجة مطلع القرن العشرين .

4 – أعلام وأقطاب النهضة الثقافية في متيجة .

بعد سنوات من الاحتلال الفرنسي للجزائر، شعر الجزائريون بيد الاستعمار الصليبية وهي تجر رداء الدِّين الإسلامي عنها ،وأحسَّت بيدها الثانية وهي تخنُق اللغة العربيَّة لكي تقتلها ،فكان عليها الردّ والمقاومة ،كما عاشت الجزائر أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في قحط من الأفكار لا مثيل له ،حيث أذاقها الاستعمار الفرنسي طعم الجوع والخوف إثر ثوراتها المتوالية ،فهاجر من هاجر من علمائها وأبطالها فرارا بدينهم وحريتهم ،ولم يبق منهم إلا الذين يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا وكان هؤلاء مصيرهم التعذيب ،التضييق ،أو النفي ومن أجل كل هذا كادت الجزائر تُصبح خاوية على عروشها من علمائها.

والظاهر أنَّ هذه السِّياسة كانت متعمدة ومدروسة لتجهيل الجزائريين والعمل على قتل الناحية الفكرية لهم ،لكن الجزائر لم تفرغ تماما بعد الاحتلال من العلماء العاملين المجدين رغم جدِّ الاستعمار في إبادتهم والتعسف عليهم، وثبتوا قائمين ثبات جبال الجزائر الشامخة الشاهقة ،وتحدَّوا الاستعمار وشمخوا عليه ،والصفحات التالية تحاول تسليط الضوء على أبرز علماء منطقة متيجة–موضوع دراستنا–الذين عملوا على نهضة الجزائر الحديثة مع بداية القرن العشرين ،فكانوا الصفحات الأولى للحركة الفكرية والثقافية التي كتبها فيما بعد الشيخ بن باديس وتلامذته في كتاب جمعية العلماء المسلمين ،ولعلّ أبرز هؤلاء نجد الأستاذ عبد الحليم بن سماية(13)، ،ومصطفى بن الخوجة، وعمر بن قدور الجزائري(14) وعمر راسم(15) من أبناء المنطقة ، والشيوخ ابو القاسم الحفناوي(16)، والعلامة محمد بن شنب (17)،وشيخ الجماعة عبد القادر المجاوي(18) ومحمد السعيد بن زكري (19)من مناطق أخرى استقروا بمتيجة وجعلوها مركزا لنشاطهم في وقت واحد لإعادة إحياء الجزائر وإخراجها من النفق المظلم.

5 – الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة المشهور بالشيخ الكمال(1865–1915) أنموذجا:

يعدُّ الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة من علماء مدينة الجزائر وإقليم متيجة العاملين ،ومن المصلحين الأوائل الذين حاربوا البدع والخرفات في الجزائر وسلكوا مسلك الشيخ محمد عبده في الإصلاح الديني والاجتماعي ،حيث لعب دورا كبيرا في تثقيف المجتمع الجزائري وفي تنويره حتى أثنى عليه الشيخ المصلح محمد رشيد رضا بقوله"..ومن خَيار الجزائر الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة صاحب المصنَّفات .." (20) فمن يكون ؟وكيف تكونت شخصيته؟وماهي أبرز جهوده وإسهاماته في حديقة الانبعاث الثقافي نطقة متيجة أوائل القرن العشرين ؟

5–1.مولده ونشأته:

ولد الشيخ محمد بن مصطفى ذو الأصول التركية بمدينة الجزائر سنة 1381هـ/1865م،ونشأ وتعلم بمسقط رأسه وحفظ القرآن الكريم ،وتعلم مبادئ العلوم وواصل دراسته الفقهية واللغوية على يد شيوخ عصره كالسعيد بن زكري والمفتي علي بن الحفاف والقزادري وعلي بن سماية والشيخ علي بن الحاج موسى ومحمد السعيد الزواوي..،حتى أصبح له مكانة علمية لا تقل شأناً عن أساتذته وهو ما يؤكده الزعيم المصري محمد فريد بك الذي زار الجزائر مطلع القرن العشرين بقوله "وممن تعرفت بهم من أفاضل القوم ..الشيخ الكمال محمد بن المصطفى المحرر بإدارة الجريدة المسمَّاة المبشر وهو شاب لا يبلغ الخامسة والثلاثين من العمر فقط ،عالم بعلوم العربية لا يجاريه فيها غيره من علماء الجزائر"(21)

مما لاشكَّ فيه أنَّ محمد بن مصطفى قد فتح عيونه والأجانب المستَولون على أرض أجداده يمحُون شيئا فشيئا ماضي المدينة العتيقة مشَيدين عوَضها مباني أوروبية ،ويُسَممون العقول ببعث الإلحاد فيها ،فشعر بالأخطار التي تُحدق بالأمة الجزائرية مهددة عروبتها وإسلامها ،وتحقَّق أنَّ النجاة والسلامة يكمن في مواكبة الأمم المتقدمة وأنَّ العوامل الروحية أقوى الوسائل لإنقاذ الشعب الجزائري من الغرق في الحضارة الغربية النصرانية فاستنجد بالشرق ضد آفة الغرب واستمد ذلك من المشارقة المجددين فاطلَّع على كتبهم وجرائدهم ومجلاتهم مثل "المؤيد المصرية"، و"مصابح الشرق(1897-1898)" لإبراهيم المويلحي ،و"المنار" لرشيد رضا، ومنشورات أخرى فتشبع محمد بن مصطفى بالفكر المشرقي عامة والعبدوي خاصة(22)،ليقضيَ حياته بين الدروس المسجدية والكتابة الصحفية والتآليف العلمية.

5-2.عمله الصحفي:

مارس الشيخ مصطفى بن الخوجة العمل الصحفي بالكتابة في جريدة المبشر الرسمية –لسان حال الإدارة الاستعمارية- أواخر القرن التاسع عشر لمدة خمسة سنوات (1896- 1901)،كما عمل محققا للكتب في المطابع العربية بالمدينة

فهو الذي صحح الجواهر الحسان في تفسير القرآن للشيخ عبد الرحمن الثعالبي الذي نشرته مطبعة رودسي"الثعالبية" حوالي 1904 ،كما بدأ الشيخ في تحقيق كتاب الشيخ السيوطي حول الاجتهاد(23) ،لكن سرعان ما حولته فرنسا إلى التأليف والتدريس بدل التحرير الصحفي بعد مراسلاته العديدة مع أعلام النهضة في المشرق العربي(24).

5–3.دروسه المسجدية :

عين الشيخ محمد بن مصطفى حزاباً بالمسجد الكبير ثم بالجامع الجديد ،وعين وكيلا لضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي ثم مدرسا بجامع سفير سنة1895م،كما تولى الإمامة والخطابة به لكونه كان متضلعا في العلوم اللغوية والفقهية وله اطلاع واسع بالعلوم العصرية وبالنهضة المشرقية حيث التقى بالعلامة المصري محمد عبده وكان من أخص العلماء الذين لازموه طيلة إقامته بمدينة الجزائر صيف 1903،وقد ذكر ذلك رشيد رضا في المنار قائلا "وقد نال –يقصد الإمام عبده– مراده فاجتمع بخيار العلماء والعقلاء الذين يقدرون الإصلاح قدره ومن خيارهم في الجزائر الشيخ محمد بن الخوجة.." ،وممَّا يدل على تعلق بن الخوجة بمبدأ الإصلاح العبدوي هو رسالته للشيخ عبده يثني فيها على تفسير سورة العصر التي نشرها في صفحات المنار ،كما كان يدعوا للإصلاح على الطريق العبدوية بالتعليم الحداثي بعيدا عن السياسة وإثر وفاة –الشيخ عبدة رحمه الله–سنة 1905 رثاه ابن الخوجة بقصيدة بليغة نكتفي بذكر هذه الأبيات منها :

مُصاب جسيم عمَّ كل العشائر	وأسلمنا قهرا لحكم المقادر
رمينا بخطب لا يقاس بغيره	فجعنا برزء ماله من مُناضر
وأكبادنا ذابت أسى وكآبة	وأعيننا مثل العيون الهوامر
على موت مفتي المسلمين وفخرهم	ومن كان للإسلام نور البصائر
بكت مصر والدنيا جميعا لفقده	وأبناؤنا من كل باد وحاضر
وأبدى الناس حزنا وحسرة	وأَجروا دموعا كالغيث المواطر

واثنوا عليه بالذي هو أهله ثناء جميلا طيبا كالعنابر (25)

ويقول الأستاذ عمار طالبي بأنَّ هذه القصيدة أكبر دليل وبرهان صادق على وجود أتباع الحزب العبدوي في الجزائر أحد أهم العناصر الداعمة للنهضة الإسلامية الحديثة في الأرض المستعمرة"(26) ،وكانت دروسه نارا على البدع والخرافات والجمود والإلحاد حيث كان أوَّل من درَّس وخطب على المنابر ضد البدع والخرافات والمرابطية والطرقية الضَّالة ،وكان يحضُر دروسه المسجدية المتوزعة على خمسة ساعات أسبوعيا كل من عمال المسجد وتلاميذ السنة الخامسة من مدرسة الجزائر –القسم العالي– وبعض الخواص من سكان المدينة وكان بارعا في التدريس حيث جاء في تقرير وليام مارسي سنة 1906 –مدير مدرسة الجزائر الشرعية الفرنسية– إشادة كبيرة بفصاحته واتساع أفكاره وتفتحه معتبرا إيَّاه أفضل الدعاة(27)

5–4.تآليفه العلمية:ترك الشيخ ابن الخوجة مؤلفات علمية وأدبية واجتماعية في شكل رسائل جليلة طبعت بمدينة الجزائر(مطبعة فونطانة والثعالبية) نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كما يبينه الجدول التالي :

عنوان الكتاب	سنة الطبع	دار الطبع	عدد الصفحات
اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب	1907	فونطانة	101صفحة
رسالة تنوير الأذهان في الحث على التحرز وحفظ الأبدان	1896	فونطانة	23 صفحة
رسالة إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام	1902	فونطانة	39 صفحة
نبذة وجيزة في معنى الدين والفقه وما يتعلق بذلك وما يتصل به	1902	الثعالبية	40 صفحة
مقدمة المجموع المشتمل على قوانين مفيدة وتنظيمات شديدة	1903	فونطانة	14 صفحة
عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي	1902	فونطانة	25 صفحة

بالجزائر			
خاتمة المجموع		فونطانة	16 صفحة
نبذة من أوائل الكتاب المسمى الجامع الكبير لسيدي عبد الرحمن الثعالبي	1911	الثعالبية	42 صفحة
الاكتراث في حقوق الإناث	1895	فونطانة	97 صفحة

(28)

نلمس في مؤلفاته وأعماله الفكرية أنَّه كان مؤمنا بالتجديد والاجتهاد في الدين والدنيا معا ،ونستشف نزعته الاجتهادية التجديدية وعدم رضاه بالتقليد الأعمى حاثا في نفس الوقت على ضرورة الانتفاع من تجارب غير المسلمين ،حيث بادر بن الخوجة في كتابه "**إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام**"، بالدعوة إلى التخلي على العقلية المتحجرة والجمود ،ودعا المصلحين إلى تولي دورهم في المجتمع والذي يتمثل في الإصلاح والدعوة إلى النهوض به وذلك من خلال العودة إلى القيم والتعاليم الإسلامية وحذف ما هو زائد ومبتدع لا علاقة له بالأصل(29) ،حيث بين أنَّ التعصب–زيادة على كونه غير موافق للأوامر الدينية–مانع من موانع التقدم الحضاري والفكري بقوله"..أعلم أنَّ التعصب ممنوع في شريعتنا السمحة بالنص القرآني فلا إكراه للدخول في الدين الإسلامي ..فمن شاء يؤمن ومن شاء فليكفر.." (30)

وتشير الدراسات التاريخية إلى أنَّ ابن الخوجة كان من الأوائل الذين نادوا بإصلاح شؤون المرأة الجزائرية وتحريرها من الجهل في الحدود التي وضعها الشرع الإسلامي،وقد ألف كتاب بعنوان "**الاكتراث في حقوق الإناث**"(31) ، يهدف من ورائه لإبراز مكانة المرأة في الدين والمجتمع، ويقنع الجزائريين بأن يعدلوا عن سلوكهم المعادي للمرأة وتحريرها من الجهل ،ولمعالجة داء كان قد تفشى في المجتمع الجزائري على غرار باقي الشعوب العربية مسايرا لانحطاطها السياسي وتراجعها الحضاري وهو مسألة المرأة حيث عطف على حالها الوضيع وأراد أن يرفع عنها

غبن مظالم الرجال سواء كانت عن جهل أو عن إرادة مقصودة ،فشرع بجمع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مظهرا شأن المرأة في الإسلام وداعيا لمراعاة حقوقها بمقتضى الكتاب والسنة وتطور المجتمع الإنساني في العصر الحديث بحكم أنها ركن من أركان الأمة الجزائرية وكما قيل المدرسة الأولى لتكوين الأجيال الصالحة ،فألف كتاب الاكتراث مقتديا بكتاب "باكورة الكلام على حقوق النساء في الإسلام " الصادر ببولاق سنة 1891 للشيخ حمزة فتح الله–محرر بجريدة الرائد التونسية الرسمية– ،وأبرز ما دعا إليه وجوب تصحيح وضعية المرأة حتى تقدر على أداء وظيفتها التربويَّة والاجتماعيَّة على أحسن وجه وفي نظره أن تدهور العلاقات الزوجيَّة التي وصلت إلى أرذل الدرجات من غياب الاحترام المتبادل بين الطرفين الذي هو أساس السعادة الزوجية فعوض الوفاق والوئام انتشرت الخلافات التي لا توجد لها حلول إلا باستعمال الغلظة والخشونة والقول السيئ والقبيح قائلا".. إنَّ جل نساءنا يتطاولن على رجالهن ويكلفنَّهم ما لا يطاق من الإخفاق والتبذير ومنهنَّ من لا تحيي زوجها ولا ترحب به .. بل تُعرض عنه ولا تجيب نداءه ولا تمتثل لأوامره وفيهن من تشتمه وتدعوا عليه مشافهة حتى اضطر بعضهم إلى تأديبهن بالضرب زيادة على بذل جهده في اللعن والسب .." ،ولا يستغرب ابن الخوجة النتائج الوخيمة لذلك والعناء الكبير والبلاء الخطير وعظم الشقاق وكثر الطلاق(32) ،ولعلاج هذه المسألة شدَّد المصلح على ضرورة الاهتمام بعلم الدين المرادف للتمدن ،إذ هو خير سبيل لتبديد الجهل وتحقيق الرضا الذي يتمثل كما تدل عليه الصورة التاريخيَّة للإسلام في العلم الواسع والشرف الشامخ والعز اليافع والفتح المبين .. ،مبينا أنَّ طلب العلم فرض وموجب على كل المسلمين ذكورا وإناثا،كما ألحَّ على ضرورة العدل بين الزوجات(33).

وواصل تآليفه عن المرأة والقضايا النسائية وألف كتاب "**اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب**"سنة 1907م حارب من خلاله البدع والخرافات

والمعتقدات الباطلة والشائعة بين أفراد المجتمع الجزائري، وبين آثارها السلبية عليه(34) وشنَّ هجوما عنيفا على الذين يزعمون أنَّ اللباس الغربي يتعارض مع النصوص الشرعية وأنَّه حرام ومن يلبسه مغضوب عليه وملعون لعنا كثيرا ،وقد ردَّ عليهم ردًّا مبينا مبيِّنا زَيغ دعواهم وبطلانها وبُعدها عن الحقيقة مستدلاً في رده بأمثلة العقل والنقل ،فالحاصل عنده بأنه لا مانع من ارتداء الملابس الأوروبية للضرورة أو لمصلحة ما ،ولا حرج في ذلك من الناحية الشرعية لأنَّ طبيعة بعض المهن والحرف تحدد نوعية الملابس التي نرتديها عند مباشرة هذه المهن والأعمال(35) ،بل إنَّ الإسلام لم يوجب على معتنقيه لباسا معينا لا داخل الصلاة ولا خارجها وكل ما في الأمر أنَّ لباس العبادة لابدَّ أن تتوفر فيه مواصفات شرعية فقط(35).

كما عاب بن الخوجة على الجزائريين قصور نظرهم في أمر دينهم ودنياهم ،وكيف أنَّهم أصبحوا يعزفون عن الذهاب للأطباء غير المسلمين بحكم أنهم كفار فبيَّن ابن الخوجة في رسالة سماها "**تنوير الأذهان في الحث على التحرز وحفظ الأبدان** "ألفها خصيصا لهذا الغرض في 4 أبواب و23 صفحة حاول من خلال رسالته هذه –التي اعتمد فيها على الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية– مطالبة الشعب الجزائري التخلي عن هذه العادة التي لا تمتُّ بصلة إلى تعاليم الإسلام داعيا إخوانه إلى الاستفادة من الأطباء غير المسلمين وحثَّهم على أن يستدعوا عند الحاجة الحكيم المتخرج من كليات الطب الحديثة مسلما كان أو غير مسلم ،ولإقناع المترددين منهم يستعمل ابن الخوجة الحجة والبرهان من الكتاب والسنة مبينا أن الحيد والإعراض عن الحكيم العصري ضلال فاضح إذ لا أصل له فيما بلغنا من أعمال وأقوال السلف الصالح(36) منتقدا من لا يقيمون وزنا للطب زاعمين أن ترك المعالجة والتحرز من الإيمان ،ذاكرا بأن الله أنزل الداء وجعل الدواء وأرشد لاستعماله(37)

من هذه الحقائق كلها وكثير سواها يمكننا أن ندرك فضل الشيخ محمد بن مصطفى في جملة هذه التآليف العلمية كلها لما فيها من عبارات الشغف بالعلم والاعتناء بواجب العالم نحو وطنه وأمته ،كما تشير بعض الدراسات أنَّه كان يجمع بين الشعر والنثر حتى عدَّه عمر راسم "شاعر الجزائر" كما ذكر سعد الله بأن له ديوان شعر مفقود ،كما كان خبيرا بشؤون المشرق كأنه عاش بينهم عشرات السنين ،وله دور كبير في الانبعاث الثقافي في مدينة الجزائر وذلك انطلاقا من الأفكار المتسامحة والواعية التي كان ينشرها حول الإسلام والمسلمين والعربية والمرأة والتي كان يبثها في المساجد وخطب الجمعة(38) وواصل مهامه النبيلة إلى أن وافته المنية يوم 18 أوت 1915بعد معاناته من مرض خطير عن عمر يناهز 50 سنة فقط ،ودفن –رحمه الله– بمقبرة الحامة بجوار شيخ الطريقة الرحمانية محمد بن عبد الرحمن الأزهري.

6 – خلاصة:

مما سبق ذكره نخلص للقول بأنّهَ وعلى الرغم من أن السِّياسة الفرنسية الاستعمارية كانت متعمدة ومدروسة لتجهيل الجزائريين والعمل على قتل الناحية الفكرية لهم بقتل أو نفي علمائها ،لكن الجزائر لم تفرغ تماما بعد الاحتلال من العلماء العاملين المجدين رغم جدِّ الاستعمار في إبادتهم والتعسف عليهم، وثبتوا قائمين ثبات جبال الجزائر الشامخة الشاهقة ،وتحدَّوا الاستعمار وشمخوا عليه ، خاصة علماء منطقة متيجة –موضوع دراستنا– استقروا في منطقة واحدة كانت منبع الفساد والإلحاد وكل الشرور التي بيَّتها الاستعمار الصليبي ضد الإسلام والمسلمين ،فعملوا مطلع القرن العشرين على إصلاح النفوس ،والقضاء على شرور الاستعمار، وعلى نهضته الجزائر الحديثة، فكانوا الصفحات الأولى للحركة الفكرية والثقافية التي كتبها فيما بعد الشيخ بن باديس وتلامذته في كتاب جمعية العلماء المسلمين.

كما توصلنا إلى قناعة أكيدة بحصانة المنطقة حضاريا من خلال تواجد علماء أعلام ومصلحين أخيار ووطنيين نزهاء بالمنطقة، وهو الأمر الذي جسدته الردَّة الحضارية لسكانها ،فمثلت متيجة بالنسبة للجزائريين مركزا لاستقطاب النخبة والأعلام وتمكنت من تحضير نفوس الجزائريين الذين أقبلوا على حركات الإصلاح الديني والاجتماعي والثقافي والتي برزت تجلياتها بعد الحرب العالمية الأولى ،وانتقلت من المجهود الفردي إلى الجماعي ،وتبلورت جهودهم في ظهور حركة سياسية ناهضة شكلت فضاء لنشاط التيارات والأحزاب السياسية بمختلف مشاربها وتوجهاتها ،ثم قلعة من قلاع الثورة التحريرية التي ولدت من رحم ثورة ثقافية كانت العاصمة أحد أبرز محطاتها حتى استرجاع الاستقلال وجعلها عاصمة الدولة الجزائرية المستقلة.

الهوامش:

1) أحمد مريوش، **الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية** ،ط1،دار هومة، الجزائر ،2007،ص 111.
2) أبو القاسم سعد الله ، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر** ،ج 2 ،ط3،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،1991،ص92.
3) أبو القاسم سعد الله ،**الحركة الوطنية الجزائرية** ،ج1 ،دار البصائر ،الجزائر ،2007 ،ص275.
4) نفسه، ص ص 25. 26.
5) عبد الله شريط ومبارك الميلي ،**مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي** ,المؤسسة الوطنية للكتاب ,الجزائر 1985,ص205.
6) حميد عبد القادر،**دروب التاريخ مقالات في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية وثورة 1 نوفمبر**،ط1،دار القصبة، الجزائر، 2007 ، ص80.
7) أبو العيد دودو ،**الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان** ،ط1،م.و.لك ،الجزائر ،1989،ص ص 84 -85 .

8) أبو القاسم سعد الله ،**الحركة الوطنية الجزائرية** ، ج 1 ،المرجع السابق ،ص 118 .

9) العربي ايشودان ، **مدينة الجزائر تاريخ عاصمة** ،تر:جناح مسعود ،ط1،دار القصبة للنشر ، الجزائر،2007،ص ص 212.215.

10) Djamel KARCHI. **Colonisation Et Politique D'assimilation en Algérie 1830**. **1962**. Édition Casbah Alger ,2004.P 255

11)سياسي فرنسي شهير " 1855 – 1927 " ،مختص في الحقوق ،قام بأول زيارة دراسية إلى الجزائر كانت سنة 1876،عين سنة 1881 بديوان الحاكم العام في البلاد تيرمان ،ثم مديرا لمصلحة الجزائر بوزارة الداخلية ،ثم نائبا بالبرلمان سبتمبر 1889 وقام بتحرير تقرير حول الجزائر المستعمرة، للمزيد انظر :شارل روبير أجيرون ،**الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871 – 1919)**،ج 2 ، تر :محمد حاج مسعود – عمر بلعربي ، الطبعة العربية ، دار الرائد ،الجزائر ،2007،ص 660 .كما عين وزير للأشغال العمومية 1893 ، ثم انتخب عضوا في مجلس الشيوخ 1894 ، فحاكما عاما على الجزائر مطلع القرن 20 ،اصدر في أعقاب ثورة عين بسام المنشور الذي يحمل اسمه "منشور جونار" الذي يحد من الحريات العامة كما اصدر سنة 1908 قرار يمنع الجزائريين من الحج ،عين 1911 وزيرا للخارجية ،وفي 1915 ضمن لجنة الشيوخ الفرنسي لإدخال إصلاحات على الجزائر عين حاكما على الجزائر مرة أخرى في 1918 وكان من المؤيدين لإصلاحات فبراير 1919 تولى منصب الحاكم في الجزائر على ثلاثة مرات ،امتدت المرحلة الأولى من "من 03 أكتوبر 1900 إلى جوان 1901 "ثم قدم استقالته للمعارضة والمرحلة الثانية من "ماي 1903 الى 28 فيفري 1911 "تاريخ استقالته والثالثة بعد الحرب العالمية الأولى، إبراهيم مياسي ،**مقاربات في تاريخ الجزائر 1830 –1962** ، ط1،دار هومة ،الجزائر ، 2012 ،ص 233.، مما رفع إجمالي مدة حكمه إلى 10 سنوات كاملة وهي أطول مدة يقضيها حاكم عام على الجزائر ويليه تيرمان بتسع سنوات وكامبون بست سنوات ونصف .

12) ALI MERED, **L'enseignement Politique de Mohamed Abdou Aux Algériens 1903** .op.cit .p 90.91

13) **عبد الحليم ابن سماية (1866 –1933)** هو العالم الجليل المخلص عبد الحليم علي بن عبد الرحمن بن حسين خوجة علم من أعلام الجزائر، ومن أوائل المصلحين الجزائريين ،ولد بالعاصمة سنة 1866م،ينحدر من أسرة تركية عريقة أصلها من أزمير العثمانية، وكانت عائلة ابن سماية ذات علم ونسب ودين ،فجده من أمه وهو الشيخ الكبابطي الذي وَرَّث حفيده الاستعداد للعلم بتركه له خزانة من الكتب النفيسة في مختلف المجالات ،وتعلم بمسقط رأسه –مدينة الجزائر–الزاخرة بالجوامع التي تقدم فيها الدروس في مختلف العلوم الشرعية تحت إشراف نخبة من العلماء العاملين. ففي هذه البيئة تربي ابن سماية وعاش طفولته وشبابه وتلقى تعليمه الأوَّلي على يد والده الشيخ علي ابن سماية –أحد المدرسين بالمدينة لمدة طويلة والمحررين في جريدة المبشر–بجامع السفير حيث حفظ القرآن الكريم ومختلف المتون ودرَس اللغة العربية والعلوم الطبيعية علي يد السعيد بن زكري وعلم الفلك والتاريخ على يد الحفناوي ثم انتقل إلى تونس لدراسة الفلسفة على يد الشيخ محمد بن عيسى الجزائري ،والظاهر أنَّه في هذا الجو العائلي الذي يتنفس العلم والعلوم تمَّ صقل الولد عبد الحليم الذي ظهرت فيه النباغة منذ الصغر، فأصبح مدرسا في الجزائر العاصمة في سن العشرين من عمره فقط: عبد الرحمن الجيلالي، جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية السياسي والثقافي" ،**الأصالة** ، العدد13 ،1978.

14) **عمر بن قدور الجزائري (1886–1932)**:ولد عمر بن قدور سنة 1886 بمدينة الأربعاء ضواحي الجزائر العاصمة ثم انتقلت أسرته إلى مدينة الجزائر وسكنت بأحد أحياء الأبيار،وتسمية الجزائري على ما يبدوا ألحقها باسمه نسبه إلى اعتزازه بالانتماء الصادق إلى وطنه: محمد صالح الجابري ،"الهوية الجزائرية لدى الشعراء الجزائريين المهاجرين إلى تونس"،**الثقافة**،العدد86، مارس–أفريل 1985 ،ص207، وينتمي المصلح إلى أسرة جزائرية عريقة حريصة على العلم والأدب

فحفظ القرآن الكريم واكتسب مبادئ اللغة العربية: مولود قرين ،**عمر بن قدور الجزائري ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية (1886–1932)**،ج1 ،ط1،دار الخليل العلمية ،الجزائر ،2013،ص69،ثم التحق بالمدرسة الرسمية بمدينة الجزائر لكنه لم يستمر طويلا بها فسرعان ما تركها وتوجه إلى تونس ثم إلى مصر في حدود 1906وعمره عشرون سنة: عبد المجيد بن عدة،"من رواد الحركة الوطنية الإصلاحية في الجزائر الكاتب عمر ين قدور الجزائري 1886-1932"،**مجلة المبرز** ، العدد6، المدرسة العليا للأساتذة ،بوزريعة ،جويلية –ديسمبر 1995،ص80 .

15) **الثائر عمر راسم (1884–1959م)**. ولد عمر راسم بن علي بن سعيد بن محمد البجائي الصنهاجي بالجزائر العاصمة سنة 1884 من عائلة اختلف في أصلها ،هل هي تركية تجزأرت ،أم هي جزائرية أصيلة ،ويرجَّح أصلها إلى الثانية ويستند في ذلك إلى جريدة ذو الفقار التي أنشأها وسمى نفسه فيها بـ"ابن المنصور الصنهاجي" أبو القاسم سعد الله ،"عمر راسم بين نخبة عصره"،**الشروق اليومي** ، العدد2567-29 فيفري 2009 ،وكانت عائلته تسكن القصبة وبها كبُر وتعلم حيث أدخله والده أحد الكتاتيب المجاورة أبو عمران الشيخ وآخرون ،المرجع السابق ،ص231.وكذلك: أشغال ملتقى عمر راسم الفنان المبدع والوطني المصلح ،**عمر راسم الفنان والخطاط المزخرف والمصلح الثائر** ،منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الاوسط الجزائر الى نهاية العهد العثماني،جامعة الجزائر2 ،دار هومة ،الجزائر ،2009،ص30 ،أين أظهر تفوقا و نجابة لفتت أنظار معلميه ،فقد أتمَّ حفظ القرآن الكريم وهو في السابعة من عمره ،ولحفظه الجيد عيّنه الشيخ المفتي "بوقندورة"حزّابا بمسجد"سفير" وهو في الثانية عشر من عمره فقط ،كما تلقى دروسا قليلة في النحو على يد الشيخ محمد بن المصطفى ابن الخوجة ، وتابع لمدة سنة واحدة دروسا رسمية بالمدرسة الثعالبية محمد ناصر،**عمر راسم–المصلح الثائر–** ،ط1، مطبعة لافوميك، الجزائر،ص14.وكذلك: محمد ناصر، **المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطورها أعلامها(1903–1931)، ج1** ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1978 ،ص 78.ثمَّ أخرِجَ منها

بسبب فكره الإصلاحي العبدوي ،فطرده أحد الأساتذة الجامدين المتعصِّبين ،واعتمد بعد ذلك على نفسه في التكوين ،وهو من المثقفين الجزائريين العصاميين ،كوَّنته الأحداث والوقائع ،وصقلت مواهبه الظُّروف والتَّجارب .

1. **أبو القاسم الحفناوي (1850–1942)**: هو ابن الشيخ أبي القاسم الملقب والمعروف بابن عروس الصغير بن محمد المبارك الديسي،ولد بقرية الدّيس ببوسعادة حوالي سنة 1266هـ الموافق لـ1850م من أسرة علمية شريفة ،فوالده كان من علماء عصره ،دخل الكُتاب وحفظ القرآن الكريم عن الشيخ العلامة محمد بن عبد الرحمن الديسي ،وقد تميز بسرعة الحفظ وقريحة الفهم ،فارتحل بعد ذلك لينهل من بحر العلوم فنزل بزاوية "طولقة" ببسكرة ومكث هناك أربع سنين ،ثم بزاوية الشيخ "ابن أبي داود "بآقبو ببلاد زواوة لثلاثة سنوات ليعود إلى بوسعادة ويلتحق بزاوية الشيخ محمد بن أبي القاسم الشريف الهاملي لسنتين أخذ فيهما التفسير للحديث الشريف عن مؤسس زاوية الهامل فتمَّ إجازته بإجازة تشهد لصاحبها بالتحصيل العلمي مع الإذن له بالتعليم محمود كحول ،**التقويم الجزائري** ،1912،ص ص 169–170. نظرا لشغف الشيخ أبو القاسم بالكتب وبتحصيل العلوم ،ارتأى أن ينتقل إلى الجزائر العاصمة لأخذ العلم عن علمائها والاطلاع على خزائنها ،فحلّ بها سنة 1883م أينَّ تعرف على نخبة من علمائها ،منهم الشيخ علي بن الحفاف المفتي المالكي والمدرس بالجامع الكبير ،والشيخ القزادري وحسن بن بريهمات ،فاقترحوا عليه أن يكون معلما بمدرسة هذا الأخير فامتنع الشيخ الحفناوي عن ذلك وقال:"إنما جئت طالبا للعلم لا معلما"، لكنهم ألحّوا عليه فنزل عند اقتراحهم وتقلد منصب التدريس لمدة خمسة أشهر فقط ليغادر العاصمة عائدا إلى مسقط رأسه "الدّيس" ولم يطل الشيخ أبو القاسم الحفناوي المكوث ببلدته حتى أستدعي من الولاية العامة بالعاصمة سنة 1884م للتحرير بجريدة المبشر الرسمية عبد الرحمن الجيلالي ،**تاريخ الجزائر العام** ،ج4 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1975.

16)،ص ص 425-428..،ثم أصبح مدرسا بالجامع الكبير سنة 1897 محمود كحول ،**التقويم الجزائري** ،1912،ص ص 169-170.أبو القاسم سعد الله ،**تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج3 ،المرجع السابق ، ص 88.

2. **محمد بن ابي شنب**(1869 -19) ولد محمد بن العربي بن محمد بن أبي شنب يوم الثلاثاء 10 رجب 1286 هـ الموافق لـ 26 من أكتوبر 1869م بناحية (عين الذهب) ضواحي المدية وهي بلدة مشهورة تبعد عن العاصمة بحوالي 90كلم :ألفريد بيل ، "محمد بن أبي شنب فقيد العلم"،ترجمة عائشة حمار، **الثقافة** ،العدد53 ،1979،ص ص 30-31..وبمدارسة هذه العلوم تربت في نفسه ملكة الذوق العلمي فاشتاقت روحه إلى الاستزادة في طلبه والتمكُّن منه فسافر الشيخ منفرداً بنفسه من مدينة التيطري إلى مدينة الجزائر سنة 1886 لكثرة مدارسها وشهرة مدرسيها ،فالتحق بمدرسة المعلمين ببوزريعة وعكف على المطالعة وكان لا يتخلف عن الدروس مع ما رافق ذلك من حسن السيرة إلى أن أتقن جلَّ ما درسه،فتخرج أستاذاً في اللغة الفرنسية مجازاً بإجازاتها في المعلومات العامة وكذلك: محمد الصالح الصديق ،**أعلام من المغرب العربي** ،ج1،موفم للنشر ،الجزائر ،2007،ص 134. وفي سنة 1908م أسندت إليه أيضاً دراسة صحيح الإمام البخاري بجامع سفير بالعاصمة كما ارتقى إلى رتبة محاضر بالجامعة فعمَّر في هذه الرتبة وقام بها على أفضل وجه حتى زاغ صيته في آفاق مدينة الجزائر وشهدت بفضله الأعلام وتقاطرت عليه المكتبات وكبار العلماء ومشاهير الكتاب والأدباء وهموا في كتاباتهم ما بين شاكر ومادح له ،ومعجب ومسترشد به من عشاق العلم والتأليف وواصل بها إلى أن نال شهادة الدكتوراه في الأدب العربي بدرجة ممتازة من جامعة الجزائر سنة 1920 عبد الرحمن الجيلالي ، **محمد بن أبي شنب.حياته وآثاره** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1981.،ص ص 16-19..

17)**عبد القادر المجاوي**: (**1848–1914م**) هو الشيخ عبد القادر ابن أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم ابن عبد الرحمان المجاوي،نسبة لقبيلة مجاوةولد بتلمسان عام 1266هـ/ 1848م من أسرة تلمسانية عريقة، درس في المغرب الاقصى ثم زار

البيت الحرام، قرر الشاب عبد القادر العودة لوطنه، واستقر بعاصمة الشرق قسنطينة سنة 1869م، ودرَّس في مساجدها، انتقل الشيخ عبد القادر المجاوي سنة 1898 من قسنطينة إلى عاصمة البلاد مدينة الجزائر ،وكان قد بلغ سن الخمسين من عمره ،فازدادت مسؤولياته فيها ،وتنوع نشاطه الإصلاحي بها مواصلا مهمته دون كلل أو ملل ،وتوزعت جهوده العلمية والفكرية في عدة ميادين وهي التربية والتعليم والصحافة والتأليف وغيرها. محمد دبوز، **أعلام الإصلاح في الجزائر (1921–1975)**، ج3، ط1،مطبعة البعث، قسنطينة، 1978، ص53.

18)**محمد السعيد ابن زكري**: (**1851–1914**). ولد الشيخ محمد السعيد بن أحمد الزواوي الجنادي ابن زكري سنة 1851 بمنطقة زواوة وحفظ القرآن الكريم ليلتحق بأخيه الأكبر الذي كان مدرسا بزاوية سيدي عبد الرحمن الأيلولي قرب آيت إسماعيل في جبال جرجرة ومن هنالك تنقل من زاوية لأخرى لإتمام دراسته. انتقل الشيخ السعيد من بلاد زواوة إلى عاصمة البلاد "مدينة الجزائر" لقربها الجغرافي والبيئة الثقافية الموجودة بها وكان ذلك سنة 1880 ودرس بزاوية سيدي محمد الشريف ثمَّ عُيَّن مدرسا بالجامع الكبير ومن بعد ذلك إماما بجامع سيدي رمضان ،وفي سنة 1895انتُخب أستاذا للفقه وأصوله بالمدرسة الحكومية وتولى الإفتاء للسادة المالكية سنة 1908 سعد الدين بن أبي شنب ،المقال السابق ،ص 47..كما كانت للشيخ السعيد إسهامات في الجمعيات الثقافية التي كان يَبُث فيها وسط الجماهير العاصمية أفكاره التجديدية التي تبرز التعاليم السمحة ،وتحُث المسلمين على تعلُّم اللغات والإلمام بالعلوم العصرية للخروج من أوضاعهم المتدهورة محمود كحول ،**التقويم الجزائري** ،1912.

19)محمد رشيد رضا ،**تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده** ،ج1، ج1، ط 1، مطبعة المنار، مصر ،ص 371.

20)احمد دراوي ، **الجزائر والجامعة الإسلامية – 1876 –1924** ،**مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر** ،إشراف مولود

عويمر ،قسم التاريخ ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة الجزائر ،2007 –2008،ص108.

21)سعد الدين بن أبي شنب ، النهضة العربية بالجزائر من القرن الأول من القرن الرابع عشر للهجرة" ، **مجلة كلية الآداب** ،العدد 1،جامعة الجزائر ،السنة الأولى ،1964،ص52.

22)محمد علي دبوز ،**نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة** ،ج1 ،ص ص 128– 129.

23)أبو القاسم سعد الله ،**تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج3، دار البصائر،الجزائر ، 2007.ص85.

24)عمار عمورة ،**الجزائر بوابة التاريخ** ،**الجزائر خاصة** ،ج2،المرجع السابق ،ص 391.وكذلك :امحمد دراوي ،المرجع السابق،ص ص 108 –109.

25)عمار طالبي ،**آثار ابن باديس**، ج 1، ط1 ،الشركة الوطنية لصاحبها بوداود ،الجزائر، 1997،ص39.

26)أبو القاسم سعد الله ،**تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج3،المرجع السابق ،ص86.

27)سعد الدين بن أبي شنب ،المقال السابق ،ص54.

28)أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج7،المرجع السابق ،ص 162.

29)محمد بن مصطفى ابن الخوجة الجزائري ،**إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام** ،مطبعة فونطانة ، الجزائر،1902،ص4.

30)ألفه سنة 1895وطبعه في مطبعة فونطانة بالجزائر العاصمة وأعيد طبعه في القاهرة سنة 1999 .

31)محمد بن مصطفى ابن الخوجة الجزائري ،**الاكتراث في حقوق الإناث** ،مطبعة فونطانة ،الجزائر ،1895،ص ص 64 65.

32)نفسه ،ص 14.

33)أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**،ج7،المرجع السابق، ص 186.

34)محمد بن مصطفى ابن الخوجة الجزائري ،**اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب**،مطبعة فونطانة ،الجزائر ،1907،ص 72.

35)محمد بن مصطفى ابن الخوجة الجزائري ، **تنوير الأذهان في الحث على التحرز وحفظ الأبدان** ،مطبعة فونطانة ،الجزائر ،1896، ص 54.

36)نفسه ، ص ص6-7.

37)أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**،ج3،المرجع السابق، ص ص84-85.

38)عمار عمورة ،**الجزائر بوابة التاريخ** ،**الجزائر خاصة** ،ج2،المرجع السابق ،ص 392.

البيبليوغرافيا:

1 –المصادر:

1. ابن الخوجة الجزائري (محمد بن مصطفى)، **إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام** ، مطبعة فونطانة، الجزائر،1902.
2. ابن الخوجة الجزائري (محمد بن مصطفى)، **تنوير الأذهان في الحث على التحرز وحفظ الأبدان** ، مطبعة فونطانة، الجزائر، 1896.
3. ابن الخوجة الجزائري (محمد بن مصطفى)،**الاكتراث في حقوق الإناث** ،مطبعة فونطانة ،الجزائر ،1895
4. ابن الخوجة الجزائري (محمد بن مصطفى)،**اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب**، مطبعة فونطانة ، الجزائر ،1907.
5. كحول (محمود)، **التقويم الجزائري (1912)**، فونتانة، الجزائر، 1912.**التقويم الجزائري (1913)**.

2 – المراجع:

أ –بالعربية:

6. أجيرون (شارل روبير)،**الجزائريون المسلمون وفرنسا** (1871 - 1919)،ج 2 ، تر :محمد حاج مسعود – عمر بلعربي ، الطبعة العربية ، دار الرائد ،الجزائر ،2007.
7. أشغال ملتقى عمر راسم الفنان المبدع والوطني المصلح ،**عمر راسم الفنان والخطاط المزخرف والمصلح الثائر**، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب

الأوسط الجزائر إلى نهاية العهد العثماني،جامعة الجزائر2 ،دار هومة ،الجزائر ،2009.

8. ايشودان (العربي)،**مدينة الجزائر تاريخ عاصمة** ،تر:جناح مسعود ،ط1،دار القصبة للنشر ، الجزائر،2007.

9. الجيلالي (عبد الرحمن)، **تاريخ الجزائر العام**، ج 4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1975.

10. الجيلالي (عبد الرحمن)،**محمد بن أبي شنب.حياته وآثاره** ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1981.

11. **الحق الوهراني**، راسم (عمر)، العدد 39 ،(6جويلية 1912).

12. دبوز (محمد علي)، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة** ،ج1 ،ط وزارة الثقافة ،الجزائر، 2007.

13. دودو(أبو العيد)، **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان** ،ط1،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1989.

14. رضا (محمد رشيد)، **تاريخ الأستاذ الإمام**، ج1، ط 1، مطبعة المنار، مصر.

15. سعد الله (أبو القاسم) ، **الحركة الوطنية الجزائرية** ،ج1 ("المجلد1) ، دار البصائر ، الجزائر ،2007.

16. سعد الله (أبو القاسم) ،**تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج3،دار البصائر،الجزائر ، 2007.

17. سعد الله (أبو القاسم)، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر** ،(ج1-ج2) ،ط1،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،لبنان،2006.

18. شريط(عبد الله) و الميلي (مبارك)، **مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.

19. الصديق (محمد الصالح)،**أعلام من المغرب العربي** ،ج1،موفم للنشر ،الجزائر ،2007.

20. طالبي (عمار)،**آثار ابن باديس**، ج 1، ط1 ،الشركة الوطنية لصاحبها بوداود ،الجزائر، 1997 .

21.عبد القادر(حميد)، **دروب التاريخ . مقالات في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية وثورة 1 نوفمبر**،ط1،دار القصبة الجزائر، 2007.

22.عمورة(عمار)،**الجزائر بوابة التاريخ.الجزائر خاصة**، من ماقبل التاريخ والى1962، ج 2،دار المعرفة،الجزائر،2009،

23.مريوش (أحمد)، **الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية** , ط1،دار هومة، الجزائر، 2007.

24.مياسي (إبراهيم)،**مقاربات في تاريخ الجزائر 1830 –1962** ، ط1،دار هومة ،الجزائر ، 2012.

25.ناصر (محمد)،**المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطورها أعلامها(1903–1931)**،"**ج1** ، **ج2**"،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1978.

ب –بالفرنسية:

KHARCHI (Djamel). **Colonisation Et Politique** .**26 D'assimilation En Algérie 1830**. **1962**. Édition Casbah Alger.2004.

المقالات:

أ –بالعربية:

27.ابن أبي شنب(سعد الدين)،"النهضة العربية بالجزائر من القرن الأول من القرن الرابع عشر للهجرة" ، **مجلة كلية الآداب** ،العدد 1،جامعة الجزائر ،السنة الأولى ،1964.

28.بن عدة (عبد المجيد)،"من رواد الحركة الوطنية الإصلاحية في الجزائر الكاتب عمر ين قدور الجزائري 1886–1932"،**مجلة المبرز** ، العدد6 ،المدرسة العليا للأساتذة ،بوزريعة ،جويلية –ديسمبر 1995.

29.بيل (ألفريد)، "محمد بن أبي شنب فقيد العلم"، ترجمة عائشة حمار، **الثقافة** ،العدد53، 1979.

30.الجابري (محمد صالح)،"الهوية الجزائرية لدى الشعراء الجزائريين المهاجرين إلى تونس"،**الثقافة**،العدد86،مارس-أفريل 1985

31.الجيلالي (عبد الرحمن)،"جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية السياسي والثقافي" ،**الأصالة** ، العدد13 ،1978

32. سعد الله (أبو القاسم)، "عمر راسم بين نخبة عصره"،**الشروق اليومي** ،العدد2567 ،الجزائر -29 فيفري 2009.

33. ناصر (محمد)، "عمر راسم المصلح الثائر" ،**الثقافة** ،العدد30 ،الجزائر ،1976

34.

ب –بالفرنسية:

MERED (ALI), **L'enseignement Politique De Mohamed Abdou Aux Algériens 1903**, **Orient revue** Trimestrielle, Numéro 28, 1963.

الرسائل الجامعية:

35.دراوي (امحمد)،**الجزائر والجامعة الإسلامية – 1876 –1924** ،**مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر** ،إشراف مولود عويمر ،قسم التاريخ ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة الجزائر ،2007 -2008.

36. قرين (مولود)، **عمر ابن قدور الجزائري واهتماماته بالقضايا العربية والإسلامية "1886 – 1932** "،**رسالة ماجستير** ،المدرسة العليا للأساتذة ،الجزائر 2011.